السيد عمار الحكيم: لا خصوصية للقريب وللصديق وأبناء الحزب والجماعة الواحدة بل الخصوصية للشعب والناس وللمواطنين

كان حديثنا في الأسابيع الماضية عن النظرية الإسلامية في القيادة والإدارة وذكرنا ان عهد أمير المؤمنين (ع) لمالك الاشتر يمثل اختزالا لهذه النظرية وانتهينا الى المقطع السادس من هذا العهد الشريف والذي يتحدث عن واحدة من المحاور الأساسية في نجاح العملية القيادية والحكم الا وهو الابتعاد عن المحسوبية وعن التعدي والظلم للناس ولحقوقهم وذكرنا في الاجتماع الماضي هذه العبارة عن علي (ع) قوله ((انصف الله وانصف الناس)).

يا مسؤول عليك بالإنصاف ولا تستطيع التفكيك بين الإنصاف لله وبين الإنصاف للناس لأنهما في سياق وطريق واحد ، إنصاف الناس من خلال إنصاف الله وإنصاف الله هو مراعاة الناس ومراعاة المواطنين وحل مشاكلهم والتخفيف من همومهم وإعطاء كل ذي حق حقه ((انصف الله وانصف الناس من نفسك)).

" يامسؤول اذا لم تحقق الإنصاف للناس من نفسك ومن أقربائك ومن خاصتك .. حينئذ سوف تقع في الظلم"

على مستوى سلوكك الشخصي عليك ان تكون منصف لله وللناس ((ومن خاصة اهلك)) يا مسؤول انت ايضا مسؤول عن اقربائك وذويك وأنت وأقربائك شيء واحد فكما عليك ان تحافظ على نزاهة نفسك عليك ان تحافظ على نزاهة ذويك وأقربائك ((ومن خاصة اهلك ومن لك فيه هوى من رعيتك)) ومن الناس الذين لك رغبة بهم وهم من حزبك او قوميتك او من عشيرتك او من ابناء مدينتك ، اي كانت هذه الاعتبارات ، فأنت مسؤول عن نفسك وعن اقربائك وكذلك الذين تميزهم عن الآخرين وتراهم اقرب اليك من غيرهم ، الإنصاف لله والإنصاف للناس في هذه المساحات الثلاث ((فانك الا تفعل تظلم)) اذا لم تحقق الإنصاف للناس من نفسك ومن أقربائك ومن خاصتك ومن الناس القريبين والمحسوبين عليك حينئذ سوف تقع في الظلم.

اذن في الرؤية الإسلامية لا يوجد محسوبيات ومنسوبيات ولا توجد مواراة ومحاباة لأحد من الناس على حساب الأخر توضع الأمور في نصابها الصحيح ولكل ذي حق حقه، هذه نظرية الإسلام.

تحدثنا في اللقاء السابق عن أهمية الإنصاف ودور الإنصاف في نجاح المنظومة القيادية، وتحدثنا عن مستويات الإنصاف الثلاث في النفس وفي الأقرباء وفي من هم قريبين، لاحضوا هذا الكتاب 41 في نهج البلاغة الذي يتحدث فيه علي (ع) مع احد اولاد عمه والذي كان رجل مضحي ومناضل قاتل مع علي (ع) وحصل على ثقة علي (ع) وسلمه مسؤولية ولاية منطقة ودخل علي في هذه الحروب وتوترت الأوضاع وانشغل أمير المؤمنين (ع) في شؤون الحروب وكان ذلك الرجل في مكانه ورأى ان القضية فيها فرص فاغتر بهذه الامتيازات وهذه الفرص والدنيا لعبت بعقله وانحرف فوصل خبره الى الإمام علي (ع) ولم يضع علي (ع) اي اعتبار للقرابة، انظروا ماذا قال علي (ع) في هذا الكتاب ((اما بعد فإني كنت أشركتك في أمانتي)) المسؤولية امانة وليس تشريف ((وجعلتك شعاري وبطانتي)) الناس لا ترى المسؤول بل ترى هذه الاذرع والجماعات المحيطة بالمسؤول ((ولم يكن في أهلي أوثق منك في نفسي)) ولا يوجد احد من اقربائي اقرب لي منك ((لمواساتي ومؤازرتي)) ورأيتك تقف لتنصرني في الحق الذي ادافع عنه ((وأداء الأمانة إلي)) رأيتك وفيا لا تتخلى عني في ساعة الضيق ولذلك اعطيتك المسؤولية ((فلما رأيت الزمان على ابن عمك قد كلب)) وحينما اشتدت الأمور على علي (ع) واحتوشه الاعداء من كل صوب وحدب وحاصروه وضيقوا عليه ((والعدو قد حرب وامانة الناس قد خزيت)).

" هناك من الانتهازيين الذين يديرون حول المسؤول ما دام قويا وحينما يضعف يبحثون عن قوي غيره"

امانة وحقوق الرعية ضاعت الكل حصلوا على حقوقهم وامتيازاتهم الا المواطن المسكين ((وهذه الامة قد فتنت وشذرت)) والناس لا احد يطالب بحقوقهم وبقيت ظهور الناس مكشوفة لا احد يحميها اي ان الامة بقيت

مكشوفة الظهر ((قلبت لابن عمك ظهر المجن ففارقته مع المفارقين)) تركته وذهبت مع من تركوه ، وهناك من الانتهازيين الذين يديرون حول المسؤول ما دام قويا وحينما يضعف يبحثون عن قوي غيره ((وخذلته مع الخاذلين وخنته مع الخائنين)) هكذا تعاملت مع علي ((فلا ابن عمك آسيت ولا الأمانة أديت وكأنك لم تكن الله تريد بجهادك)) اين هذا الجهاد والتاريخ والتضحيات ومشاركتك في الحروب، ويبدو ان هذا الجهاد لم يكن هو الغرض والهدف الأساس من حركتك والتاريخ وحده لا يكفي فيجب ان يكون متصل بالحاضر ولا يكفي التاريخ وحده بل يجب ان يعبر عن نفسه الى اخر لحظة من حياة الإنسان.

نرى ان الحر بن يزيد الرياحي كان من مدرسة اخرى وحياته حياة عداء لأهل البيت (ع) ولكن في اللحظة الاخيرة (اخيّر نفسي بين الجنة والنار لا والله لن اختار على الجنة شيئا) وجاء مطأطأ برأسه نحو الحسين معتذرا نادما وقبل الحسين توبته، والواقع ان الحر هو الذي جعجع بالحسين واهل بيته (ع) في هذه المنطقة، لكن في اللحظة الأخيرة وفي المقطع الأخير من الصورة كان الوفاء والنصرة فأصبح من أصحاب الحسين، بينما كان الشمر من اصحاب علي (ع) وقاتل معه في صفين وتاريخه تاريخ ولاء ومحبة ونصرة لأهل البيت لكن في اللحظة الأخيرة من حياته وقف ليحز رأس الحسين معاديا ابي عبد الله واليوم يُلعن الشمر ويُترحم على الحر ابن يزيد الرياحي، اذن التاريخ وحده لا يكفي والجهاد وحده لا يكفي هكذا يقول علي (ع) لأبن عمه ((وكأنك لم تكن تريد بجهادك وكأنك لم تكن على بينة من ربك)) الظاهر ان موقفك لم يكن عن بصيرة ولا عن وعي بل حشر مع الناس عيد والمجاهد الحقيقي لا يغيره الكرسي الدوار ودواليب الزمن ((وكأنك انما كنت تكيد هذه الامة عن دنياهم)) الظاهر ان كل ما كان هو مجرد شكليات ومسرحية للتغرير بالناس لتحصل على ثقتهم واصواتهم ((وتنوي غرتهم عن فيئهم)) انما انت بالمرصاد لهؤلاء الناس لسرقة اموالهم حينما يغفلون ((فلما امكنتك الشدة من خيانة الامة ، اسرعت الكرة وعاجلت الوثبة)) حينما رأيت الفرصة مؤاتيه ذهبت مهرولا للاعتداء على حقوق الناس ((واختطفت ما قدرت عليه من اموالهم المصونة المصونة لأراملهم وأيتامهم)) هذه اموال الفقراء والايتام وهذه هي اموال الشعب وانت اعتديت عليها ((اختطاف الذئب الازل دامية المعزى الكسيرة)) انت اختطفت حقوق الشعب على حين غرة لما رأيت الناس مشغولة بآلامها وحروبها ((فحملته الى الحجاز رحيب الصدر بحمله غير متأثم من اخذه كأنك - لا أبا لغيرك - حدرت إلى أهلك تراثك من أبيك وأمك)) وكأن هذه الاموال انما هي ميراث ابيك وامك لتأخذها بهذا الشكل ((فسبحان الله اما تؤمن بالمعاد او ما تخاف نقاش الحساب)) يوم القيامة حينما يسألونك عن كل ما تملك ماذا تقول من اين لك هذه الاموال وهذه الفنادق والمشاريع والقصور ومن اين لك هذه الممتلكات والواقع ان راتبك لا يكفي لتشييد مثل هذه القصور ولا يأتي بالفنادق في دول اخرى خارج الحدود من اين لك هذا ، ماذا يكون جوابك لرب العالمين يوم القيادة ((ايها المعدود كان عندنا من اولي الالباب كيف تسيغ شرابا وطعاما وانت تعلم انك تأكل حراما وتشرب حراما وتبتاع الاماء وتنكح النساء من اموال اليتامى والمساكين والمؤمنين والمجاهدين)) هذه اموال من وقف وجاهد وقدم ، فكيف اقبل هذا السلوك منك لا ارضى به انا علي بن ابي طالب حتى وان كنت ابن عم لي ((الذين أفاء الله عليهم هذه الأموال واحرز بهم هذه البلاد)) في حفظ الأمن والاستقرار الفقراء هم من وقفوا وثبتوا الامن والاستقرار وليس انت.

المضحين والمجاهدين هم من وقف وهم من حقق ودافع وثبتوا ، كيف لك الان تريد ان تحصد كل ذلك لأنك ابن عم علي بن ابي طالب ((فاتق الله واردد إلى هؤلاء القوم أموالهم، فإنك إن لم تفعل، ثم أمكنني الله منك، لأعذرن إلى الله فيك، ولأضربنك بسيفي الذي ما ضربت به أحدا إلا دخل النار)) لأن علي مع الحق والحق مع علي فسيف علي اين ما اصاب فانما أصاب الباطل ولا يمكن ان يصيب الحق، انظروا الى منهج علي (ع) ((والله لو أن الحسن والحسين فعلا مثل الذي فعلت، ما كانت لهما عندي هوادة، ولا ظفرا مني بإرادة حتى آخذ الحق منهما، وأزيح الباطل عن مظلمتهما)) حتى لو كانوا اولادي فأنهم لا يستطيعون ان يغيروا قناعاتي وأقول نفس الذي قلته لك، و لو انهما ظلما لكنت بنفسي ازيح الباطل وارجع حق المظلوم منهم ((، وأقسم بالله رب العالمين ما يسرني أن ما أخذت من أموالهم حلال لي أتركه ميراثا لمن بعدي، فضح

رويدا)) فكر بالذي قلته لك ((فكأنك قد بلغت المدى)) تصور انك قد بلغت اجلك ففكر ماذا تصنع في ذلك اليوم ((ودفنت تحت الثرى)) وعرضت عليك أعمالك بالمحل الذي ينادي الظالم فيه بالحسرة)) وجاءوا لك باعمالك وظلمك للناس واستحواذك على حقوقهم وممتلكاتهم في ذلك الوقت ليس لك الا الحسرة ((ويتمنى المضيع الرجعة،) الذي اعتدى يتمنى الرجعة حتى يعالج ((ولات حين مناص، والسلام))) ليس هناك من طريق للرجعة فكيف تتعامل.

هذه مدرسة علي ونهج الإسلام في المحسوبية والمنسوبية ، لا خصوصية للقريب ولا خصوصية للصديق ولأبناء الحزب والجماعة الواحدة بل الخصوصية للشعب والناس وللمواطنين ، جاء لعي (ع) احد شيعته واسمه عبد الله ابن زمعه جاء اليه يطالب باموال انظوا ماذا قال له (ع) 232 من نهج البلاغة ((ان هذا المال ليس لي ولا لك وانما هو فيء للمسلمين)) هذه غنائم المسلمين ((وجلب اسيافهم)) وهذه الاموال جاءت بسيوفهم وبتضحياتهم وبجهادهم وحروبهم وتصديهم ((فأن شركتهم في حربهم كان لك مثل حظهم والا فجناة ايديهم لا تكون لغير افواههم)) اما اذا لم تكن مشاركا معهم فالذي يحصلون عليه لا يكون الا لأفواههم ، مال الشعب للشعب هكذا يقول علي بن ابي طالب (ع) ((فجناة ايديهم لا تكون لغير افواههم)) اي مال الشعب للشعب، هكذا يقول علي (ع) لذلك علينا ان نقف عند هذه المدرسة المعطاءة لنتعلم الكثير من نهج علي (ع) وعدم محاباته لأقرب الناس اليه.